الفصل العاشر

الاتساق والانقسام فى جماعات الصفوة

فى الهند(١)

لم تحظ جماعات الصفوة فى الهند بعد بدراسة دقيقة · ولذلك فان البيانات المتاحة غير كافية وهى موزعة على موضوعات عديدة مثل تركيب جماعات الصفوة ، وتوافد عناصر جديدة اليها ، والعلاقات فيما بين هذه الجماعات ، ودرجة هيبتها وتأثيرها ، ومدى انفصالها عن الجماهير ، ودرجة ترابطها الداخلى · ومن ثم فان هذا الفصل ذو طبيعة استكشافية · وسوف نحاول أن نتعرف على بعض العناصر الهامة التى تؤدى اما الى الاتساق أو الانقسام فى جماعات الصفوة فى الهند ، وان نجمع بعض خيوط المعرفة التى يمكن اشتقاقها من الدراسات الحديثة(٢) ·

ومن الأهمية بمكان أن نوضح بادىء ذى بدء بعض الفروق العامة بين جماعات الصفوة فى الهند ونظيرتها فى المجتمعات الصناعية · وبامكاننا أن نميز ـ طبقا لما ذهبت اليه دراسة شهيرة(٣) بين خمس

---

(١) أعيد نشره من المصدر التالى :
Philip Mason (ed) **India and Ceylon : Unity and Diversity** (London, 1967).

(٢) ناقشت الخصائص العامة لجماعات الصفوة ودورها فى البلدان النامية فى كتابى المعنون « الصفوة والمجتمع » (المنشور فى لندن عام ١٩٦٤) كما ناقشت حالة الهند بصفة خاصة فى المصدر التالى :
" Modern Elite in India " Chapter IX of **Toward a Sociology of Culture in India** (edited by T. K. N. Unnithan, Indra Deva and Yogendra Singh (New Delhi, 1965).

(٣) R. Aron, " Social Structure and the Ruling class " **British Journal of Sociology**, Vol. 1, Nos 1 and 2 (March, June, 1950).

جماعات للصفوة : القادة السياسيون ، والمديرون الحكوميون ، والمهيمنون على شئون الاقتصاد (رجال الاعمال والادارة) ، وقـــادة الجمـاهير (وبصفة خاصة زعماء نقابات العُمال ، ٠ وقادة العسكريون٠ وبالتطبيق على الهند نجد أن ليس لكل الجماعات نفس الأهمية ٠ فلم تتطـــور ـ للأسـباب التى أوضحهـا ميزرا Misra فى كتابه الطبقات الوسطى فى الهند ـ طبقة برجوازية حقيقية ؛ وبالرغم من أن رجال الأعمال الافراد وبعض جماعات المصلحة قد يستحوذون على قدر من التأثير السياسى ، فانه لا يبدو فى الوقت الراهن أن هناك صفوة من رجال الاعمال تمارس ذلك النوع من التأثير السياسى والاجتماعى الحاسم الذى يظهر بوضوح فى المجتمعات الغربية ٠ ومثل ذلك يقال عن زعماء نقابات العمال الذين لم يشكلوا بعد صفوة ذات أهمية ، وذلك بسبب النمو البطىء للنقابات والطابع الزراعى والريفى الذى يميز المجتمع الهندى ٠ أما موقف القادة العسكريين فانه أقل وضوحا ٠ فلقد كان بامكاننا القول منذ ســـنوات قليلة بأن الدور السياسى للقادة العسكريين فى الهند لا يعتبر دورا هاما على خلاف الكثير من الدول النـــامية الاخرى ؛ ولكن الصراعات على الحدود مع الصين وباكستان والانفاق المتزايد على النواحى العسكرية قد أدى الى تغيير الموقف ، وأصبح موقف الصفوة العسكرية فى الهنـــد الآن بحاجة الى اعادة نظر ٠

أما جماعتا الصفوة اللتان تحظيان بأهمية بالغة فهما : القـــادة السياسيون وكبار موظفى الحكومة ٠ فقـــد تحملت هاتان الجماعتـــان المسئولية الاساسية فى التطور الاقتصادى والاجتماعى فى الهند ، ومن المتوقع أن يستمرا فى تحمل هذه المسئولية فى المستقبل القريب ٠ وسوف ينصب جل اهتمامنا هنا على وضع هاتين الجماعتين فى المجتمع الهندى٠ ومع ذلك فهناك جماعة أخرى تستأهل قدرا من الاهتمام : تلك هى جماعة المثقفين ٠ فالمثقفون يحتلون ـ فى كل المجتمعات المتعلمة على أقل تقدير ـ مكانا هاما سواء كانوا كتابا أو خبراء أو مفكرين ايديولوجيين ؛ ولقـد أضحى المثقفون فى المجتمعات الصناعية الحديثة أكثر تأثيرا سواء كخبراء فى مجـــال العلـم والتكنولوجيا والادارة الاقتصـــادية ، أو كمفكرين ايديولوجيين مسئولين داخل النظم الديموقراطية عن صياغة افكار ومذاهب

اجتماعية والتعبير عنها · غير أنه من المحتمل أن يحتل المثقفون وضعا اكثر أهمية فى البلدان النامية ، فهم من ناحية أقلية تمتلك المعرفة العلمية والفنية ، وهم من ناحية أخرى يعملون ـ كمفكرين ايديولوجيين ـ على دفع الحركات الراديكالية نحو الدعوة الى التغيير الاجتماعى ·

وربما يوحى لنا العرض السابق بأنه مادامت لا توجد فى الهند سوى جماعات صفوة قليلة على المستوى القومى ـ أهمها على الاطلاق القادة السياسيون وكبار موظفى الحكومة ـ فانه من المحتمل الا يوجد سوى قدر من المنافسة بين جماعات الصفوة يقل بكثير عن نظيره فى المجتمعات الغربية · ويمكن اشتقاق نفس النتيجة من مجال القيادة السياسية نفسه · فالهند « ليست دولة ذات حزب واحد » ، وانما هى « نظام يسيطر فيه حزب واحد »(٤) فى عدم وجود منافس فعال لحزب المؤتمر الحاكم · وفى مثل هذه الظروف من المحتمل أن تظهر الانقسامات داخل جماعات الصفوة ذاتها ، ويصبح ذلك أمرا سهلا عندما تكون هناك بالفعل خلافات اجتماعية رئيسية ـ كتلك المتعلقة بالطائفة واللغة ـ تعمل بمثابة أساس تقوم عليه الانقسامات السياسية · ولقد أشار كثير من الدارسين الى مظاهر الانقسام الحاد فى جماعات الصفوة فى الهند المعاصرة · واهتم هؤلاء الدارسون بنوعين من الانقسامات هما : الانقسام بين دعاة التقليد ودعاء التحديث من ناحية ، والانقسامات الاقليمية من ناحية أخرى ؛ وسوف أبدأ بمناقشة هذين الموضوعين ·

يذكر التمييز بين التقليد والحداثة دائما عند الحديث عن البلدان النامية ، غير أنه ليس من السهولة بمكان تحديد الخط الفاصل بينها بدقة · وسوف لا يكون هذا التمييز مفيدا اذا ما قصد به فقط المقابلة بين الشكل المستقر القديم وظروف التغير الراهنة ؛ فمثل هذا التمييز لا يعدو أن يكون نوعا من التعارض الكورونولوجى (التتابعى) البسيط ·

---

(٤) استخدم هذه العبارة موريس ـ جونز من مؤلفه التالى :
W. H. Morris - Jones, **The Government and Politics of India** (London, 1964).

وبصفة عامة ، فان التمييز بين التقليد والحداثة يصـــيغ خبرة البلدان الأوربية الغربية فى تحولها من الاقطاع الى الرأسمالية الحديثـــة ، من النظام القديم الى النظام الحديث · ونجد على أحد شقى هذا الانقســام نمطا من المجتمع يسود فيه الفكر الدينى ، ويكون فيه التغير التكنولوجى والاقتصادى بطيئا ، والحركة بين الشرائح الاجتماعية محدودة ، بل أن هذه الشرائح نفسها تكون منفصلة بعضها عن البعض الآخر ؛ ونجد على الشق الآخر نمطا من المجتمع ينتشر فيه التفكير العلمانى ، وتحظى فيه التكنولوجيا والعلم بأهمية كبيرة ، ويوجد به قـــدر ملحوظ من الحراك الاجتماعى بين الشرائح الاجتماعية المختلفة · ومن هـــذا المنطلق يمكن أن نجد تعارضا بين النظام التقليدى فى المجتمع الهندى ـ وخاصة المجتمع الهندوسى ـ والنظام الجديد الذى نشأ مع دخول التصنيع والديموقراطية السياسية · والسؤال الذى يترتب على ذلك مباشرة هو : هل توجد الآن أى جماعات صفوة تقليدية مؤثرة ؟ يبدو لنا أن الملاحظة التى قدمهـــا ماكرجى MuKerji تصدق فى هذا المجال حيث ذهب الى القـــول بأن « جماعات الصفوة القديمة قد اختفت فى كل مـكان ، ولكنهـــا ما تزال موجودة هنا ؛ فلا يمكننا التعرف على أى جماعات جديدة باستثنـــاء رجال السـياسة المحترفين والبيروقراطيين فالمحـــافظة على البراهمنية (النظام الهندوسى) Brahminism كمجال اهتمام اجتماعى حاضر فى هذا العالم يعتبر حلما قديما ··· ويمكن لعشرة من الرؤســـاء أن يغسلون أقدام عشرة آلاف من أعضاء الطائفة البراهمية غير أن الهيبـة التى كان يتمتع بها عضو الطائفة البراهمية فى مجال السياسة لا يمكن استعادتها »(٥) · فلم تظهر حركات اجتماعية وسياسية براهمية ذات أهمية ، وحتى اكثر الجماعات الدينية تقليدية قد حولت اهتمامها بشـكل متزايد الى انشطة الرفاهية الاجتماعية ذات الطابع الحديث ·

ويعنى غياب أى جماعات صفوة تقليدية متميزة ـ فحتى الأحزاب السياسية القائمة على أساس طائفى لا تعتبر أحزابا تقليدية كلية حيثما

---

(٥) D. P. MuKerji, **Divesities** (New Delhi, 1958). P. 73.

تمتلك قدرا من المقـدرة السـياسية ـ يعنى أن التعارض بين التقليدية والحداثة ـ بالشكل الذى يبدو عليه الآن ـ يجد تعبيرا عن نفسه داخل جماعات الصفوة المسيطرة نفسها · ويمكن تحديد أبعاد هـذا التعارض فى الحياة السياسية ، غير أنه لا يمكن تقييمه بسهولة · فقـد ظهر فى حزب المؤتمر الى حد ما من خلال الخلافات بين نهرو وغاندى ـ ولكن غاندى لم يكن مجرد رجل تقليدى ، كما لم يكن نهرو مجرد رجل من دعاة التحديث · ويظهر هذا التعارض فى الوقت الحاضر من خـلال تعايش أساليب أو مصطلحات مختلفة فى مجال السياسة : السياسة الحديثة ، السياسة التقليدية ، السياسة المقدسة (أو الدينية) اذا ما استخدمنـا المصطلحات التى قدمها موريس جونز(٦) · ويمثـل نظـام الديموقراطية البرلمانية والمحاكم والادارة العليا النظم السياسية الحديثة · أما الجوانب التقليدية للسياسة فانها توجد على مسـتوى القرية حيث تلعب كل من الطائفة والقرابة والتعصب دورا هاما · وتتمثـل الجوانب المقـدسة (الدينية) فى السياسة فى مجموعة المثل الدينية القديمة ؛ وقد كانت تشكل أحد عناصر التفكير السياسى لغاندى ، ويعبر عنها بشدة هذه الايام كل من فينوبا بوهاف Vinoba Bhave جـ · ب · ناريان J. P. Narayan

ويشير هذا التباين فى الاساليب السياسية بصورة أولية الى وجود مستويات أو مناطق للممارسة السياسية منغلقة على نفسها الى حـد ما ومستقلة بعضها عن البعض الآخر · ولقد أوضحت هذه النقطة دراسة عن ولاية أورسا Orissa أجراها ف · جـ · بيلى(٧) F. G. Bailey ، بل أن هذه الدراسة أضافت بعض الملامح الاخرى · فرق الكاتب بين نطاق السياسة الخاص بالصفوة وهو نطاق حـكومة المقاطعة ، وبين نطـاق السياسة على مستوى القرية · فالأول يمثل المستوى الحديث والثـانى يمثل المستوى التقليدى · غير أن هناك أيضا منطقة وسطى تمثلها الدائرة الانتخابية حيث يتقابل كلا الطرفين ويتكيف كل منهما مع الآخر · وذهب

---

(٦) Morris - Jones, oP. cit., P. 52.

(٧) F. G. Bailey, **Politics and Social Change : Orissa in 1959** (BerKeley, 1963).

بيلى الى أن الانشطة السياسية للولاية والدوائر الانتخابية تميل أثناء هذه العملية الى امتصاص وتحويل (بمعنى تحديث) هذه القرى · وتبدو الصفوة نفسها على أنها أقرب الى الترابط (التماسك) ـ من الناحية الاجتماعية والسياسية ـ الأمر الذى جعل بيلى يتساءل عما اذا كان يمكن النظر الى هذه الصفوة كطبقة وسطى « تقف فى مقابل طبقة الفلاحين أو العمال المعدمين فى الريف أو عمال الصناعة فى أورسا »(٨) وهذه فكرة مرفوضة على أساس أنه لا توجد جماعة مشتركة Corporate group من الفلاحين والعمال ـ وبالتالى لا يوجد شكل محدد لصفوة مضادة داخل الولاية ـ وايضا على أساس أن وحدة الصفوة يظهر بجلاء فى علاقتها بالجماعات الخارجية ، وبالصفوات فى الولايات الاخرى وبحكومة دلهى ·

ولقد أظهرت دراسة حديثة عن القيادة السياسية فى ولاية أوتر براديش Uttar Pradesh أن حزب المؤتمر يحوى صفوة تنتمى الى الطبقة الوسطى وتعتمد فى قوتها السياسية على حيازة الملكية ؛ حيث كتب يقول :

« نبعت القيادة ومصادر التدعيم السياسى لتنظيمات حزب المؤتمر المحلية فى الأربع مقاطعات الريفية التى درست من كبار المزارعين من طائفتى الزامندارس Zamindars والتاليوكدارس TaluKdars ومن صغار ومتوسطى اعضاء الزامندارس السابقين · فالقوة فى الريف تعتمد على ملكية الأرض · وتعتمد قوة حزب المؤتمر على شبكة من العلاقات ـ تقام من خلال قيادة الحزب وسيطرته على الحكومات الاقليمية والتنظيمات التعاونية ـ مع الجماعات ذات التأثير المحلى فى القرى ، أى مع هؤلاء الذين يملكون الأرض »(٩) ·

وتتهدد وحدة هذه القيادة باستمرار من خلال الصراعات الطائفية

---

(٨) Ibid., P. 228.

(٩) P. R. Brass, **Factional Politics in an Indian State : The Congress Party in Uttar Pradesh** (PerKeley, 1965) P. 229.

وهى أحد الملامح التقليدية فى المجتمع الهندى ، والتى ترتبط بعلاقات التابع والمتبوع Patron - Client relationships كالعلاقة بين المالك والمستأجر ، والمحامى وعميله ، والقائد ومجتمعه المحلى (وتتضمن هذه العلاقة الأخيرة مظاهر الولاء الطائفى غير أنها تمتد الى أكثر من طائفة واحدة) · ولقد تفاقمت الصراعات الطائفية فى ولاية أوتر براديش لأن السيادة السياسية لحزب المؤتمر لم يواجهها أى مظهر من مظاهر التحدى · وعندما يوجد مثل هذا التحدى ـ كما هو الحال فى أحد المقاطعات التى يسيطر عليها حزب سواتانترا Swatantra Party ـ توحد الجماعة الحاكمة من صفوفها وتنكمش النزعة الطائفية ·

أما على المستوى القومى فان على الصفوة السياسية ـ وخاصة حزب المؤتمر الحاكم ـ أن تتعامل مع النمط التقليدى للسياسة فى القرية من ناحية ومع النمط المقدس (الدينى) للسياسة المرتبط بالحركة البوذية من ناحية أخرى · ولكن يبدو هنا أيضا ـ كما فى ولاية اورسا واوتر براديش ـ أن تأثير السياسة الحديثة كما تمارسها الصفوة هو تأثير حاسم ، وفى نفس الوقت لا يوجد دليل قاطع على وجود انقسام داخل الصفوة ذاتها بين دعاة التحديث ودعاة التقليد · فمما لا شك فيه أن هناك بعض قادة حزب المؤتمر ممن يظهرون اهتماما بالغا بحماية الابقار ومنع المشروبات الكحولية ، بينما يهتم البعض الآخر بصناعة الصلب والتزود بالمعدات العسكرية ، ولكن هذه الخلافات لم تخلق أى صراعات اساسية · واذا كان لنا أن نشير الى موضوع واحد من الموضوعات التى تعد مصدرا للانقسام فى الوقت الحاضر ، فاننا نشير الى الاختلافات فى الرأى حول المدى المرغوب فيه من المشروعات العامة فى مقابل المشروعات الخاصة ، أو بشكل اكثر عمومية ، الاختلافات حول المزايا المرتبطة بالاشتراكية والرأسمالية كصورتين للمجتمع ـ وتعد هذه الخلافات مسألة حديثة بكل المقاييس ·

وقلما يظهر التعارض بين التقليد والتحديث فى قطاع كبار الموظفين والقادة العسكريين ، ذلك لأن كلا من الجماعتين تعد حديثة فى تعليمها ،

والانشطة التى تمارسها ، ونظرتها المهنية · أما وضع المثقفين فانه مختلف واكثر تعقيدا · فقد شكل المثقفون فى معظم المجتمعات الحديثة فئة اجتماعية اكثر تحديدا ، ظهرت داخلها جماعات متنوعة تتعايش مع بعضها البعض أو تتنافس مع بعضها البعض · وظهر منذ القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر ـ فى المجتمعات الغربية ـ خط اساسى للانقسام يفصل بين المثقفين المحافظين والمثقفين الراديكاليين · ولقد اكتمل هذا التعارض بين المحافظين والراديكاليين ، أو تدعم كما يحلو للبعض أن يقول، من خلال التمييز بين علماء العلوم الطبيعية وعلماء الانسانيات · ومن الممكن أن نجد انقسامات من هذا النوع فى الهند المعاصرة ؛ كأن نرى ـ على سبيل المثال ـ فى رام موهان روى Ram Mohan Roy حدا أعلى لطبقة مثقفة راديكالية وصلت الى اكتمال نضجها أثناء النضال من أجل الاستقلال ، أو أن نلاحظ تشكل طبقة جديدة من المثقفين من خلال ادخال العلم الغربى ونظم الجامعات الغربية الى الهند · غير أن هذه التطورات فى الثقافة الهندية لم تنتج بعد هذا التعارض الدقيق فى المذاهب الفكرية الذى حدث على نطاق واسع فى كثير من البلدان الأوربية · فلم تظهر هناك معارك على اصدار كتب مختلفة ، ولم تظهر جماعة مؤثرة من الفلاسفة ، كما لم يوجد صراع عام بين العلم والدين ويجب أن يفسر ذلك من خلال الحقيقة التى مفادها أن الفكر الغربى قد دخل الى الهند من خلال القوة الاستعمارية الحاكمة ، وتم نشره بلغة أجنبية ؛ الأمر الذى ترتب عليه امكانية النظر الى الاستقلال على أنه يطالب بتأكيد الثقافة التقليدية ، مع تفسيرها بطرق جديدة وادخال بعض العناصر المستعارة من الغرب ، على أن تظل هندية بصفة اساسية · وما يزال هذا التنافس بين التراث الداخلى والتراث الأجنبى مستمرا ، ويتبدى فى المناقشات الدائرة حول استخدام اللغة الانجليزية ، بالرغم من أنه قد فقد حدته التى كان يتميز بها فى الأجيال الأولى : أجيال طاغور ونهرو · ولقد عبر ديساى Desai تعبيرا جيدا عن هذا التنافس عندما كتب يقول : « ان ما نمتلكه هو ايديولوجية ذات توجيه هندى متأثرة بالغرب وهى الايديولوجية التى تنتمى اليها الجماهير العريضة من المثقفين الجدد ·

وبناء عليه ، فليس لدينا ـ من الناحية الايديولوجية ـ اكتساب أصيل لصفات الغرب »(١٠) ٠

ومن الناحية الأخرى فان الديانة البراهمية ـ والتى تعبر عن الوحدة الثقافية للمجتمع التقليدى ـ لا تتفق فى جوانب عديدة مع ظروف الحياة فى المجتمع الصناعى النامى ، ولذلك فقد فقدت الكثير من جدواها ٠ ومع ذلك فاننا لا يمكن أن ننكر التأثير الذى ما تزال تمارسه الديانة البراهمية ، فكما لاحظ سيرينفاس Sirinvas فى مناسبات عديدة(١١) ، فان عمليتى اكتساب صفات الغرب Westernization ونشر اللغة السانسيكرتية Sanskritization يسيران جنبا الى جنب فى الهند الحديثة ٠ وبناء عليه فانه فى الوقت الذى يتحول فيه أعضاء الطوائف العليا الى أفراد ذوى ثقافة غربية ـ ليس على نمط الانسان الغربى تماما ـ يغوص أعضاء الطوائف الدنيا فى النمط التقليدى للمجتمع من خلال تبنى المذاهب البراهمية وكذلك الممارسات العملية المرتبطة بها ٠ والنتيجة هى خليط من الأفكار الحديثة والتقليدية ، أكثر من كونها مواجهة بينهما ٠

ويبدو هذا الأمر غريبا خاصة حيثما يتوقع أن تسود القيم الحديثة دون منازع ، كما نرى فى مجال العلوم الاجتماعية ٠ فغالبا ما يذهب البعض الى أن الباحث فى علم الاجتماع أو الانثرويولوجيا ـ أو حتى علم الاقتصاد ـ يحتاج اذا كان يعمل فى الهند الى التعرف عن قرب على المجتمع التقليدى ، بصرف النظر عن المادة التى يدرسها ٠ وقد ذهب ماكرجى فى هذا الصدد الى القول بأن :

---

(١٠) I. P. Desai, " The New Elite " in Towards a Sociology of culture in India, **op. cit**, P. 154.

(١١) انظر على سبيل المثال أعماله التالية :
Caste in Modern India and other essays (Bombay, 1965) Chapter 2, "a Note on Sanskritization and Westernization" and also " changing Institutions and values in Modern India ", in **Towards a Sociology of culture in India** (op. cit).

« الواجب الأول والملح الملقى على عاتق علم الاجتماع الهندى ... هو دراسة التراث الهندى » ، واكثر من هذا « ... فانه ليس كافيا أن يكون عالم الاجتماع الهندى عالم اجتماع فقط · بل يجب عليه أن يكون هنديا أولا وقبل كل شىء ، فعليه أن يشـــارك فى الطـرق الشـــعبية ، والاعراف ، والعادات الاجتماعية والتقاليد بهدف فهم النسق الاجتماعى وما وراء النسق الاجتمـاعى · ان على الباحث أن يغوص فى التـراث الهندى الاعلى منه والادنى · وبالنسبة للجوانب العليا من التراث فان اللغة السنسكريتية تلعب دورا فائق الأهمية »(١٢) ·

والحقيقة أن مثل هذا الالتزام لم يوجد عند علماء الاقتصاد السياسى وعلماء الاجتماع الاوائل فى الاقطار الاوربية ، فلم يطرح أحد منهم مثل هذا الالتزام ، كما لم يفترض هؤلاء العلماء أن من واجبهم أن ينغمسوا فى ثقافة أوربا الاقطاعية قبل أن يقدموا على بحث المشكلات المترتبة على ظهور الرأسمالية · ويكشف الاختلاف بين الموقف فى أوربا والموقف فى الهند عن مدى تأثير الأفكار التقليدية على الفكر الاجتماعى الهندى ذلك التأثير الذى ينتج مركبا لا هو بالتقليدى ولا هو بالحديث ·

وقد يكون من الضرورة بمكان أن ندرس تطور المهن الفكرية وتطور الثقافة الحديثة فى الهند بشكل اكثر دقة(١٣) وذلك قبل أن نصدر حكما على الصورة التى سيكون عليهـا التآليف بين الفكر التقليدى والفـكر الحديث · غير أن هذا التآليف قائم فى الوقت الحاضر ، فلم تعد جماعة المثقفين مشغولة بالصراع بين دعاة التقليد ودعاه التحديث · والخلاف الاكثر ظهورا هو الخلاف بين الثقافات الاقليميـة ، ولذلك فان علينا أن نكشف عمـا يترتب على النـزعات الاقليميـة من آثار · عرض سيليج

---

(١٢) MuKerji, **op. cit, P. 232 - 3.**

(١٣) من اكثر المجالات شمولا حتى الآن محاولة ادوارد شيلز : انظر
E. Shils, **The Intellectual Between Tradition and Modernity : The Indian Situation**, (The Hague, 1961).

هاريسون(١٤) Harrison فى أحد كتبه لما اسماه بمخاطر البلقنة فى الهند ويسير رأيه على النحو التالى : تشتمل الهند على مناطق ثقافية متعددة تجمعت مع بعضها سويا فى الماضى من خلال اللغة السنسكريتية والصفوة البراهمية القومية ، ثم بعد ذلك من خلال سيطرة الصفوة الادارية السياسية البريطانية (أو ذات التعليم البريطانى) وكذلك انتشار اللغة الانجليزية · ومنذ تحقيق الاستقلال ، لم تعد اللغة الانجليزية لغة قومية ، غير أن المناداة باحلال اللغة الهندية (Hindi) محلها قد لاقت تحديا ومعارضة ؛ فى الوقت الذى بدأت فيه الثقافات واللغات المحلية تطل برأسها من جديد · ومن شأن هذه التطورات أن تخلق حدودا قوية بين المناطق اللغوية ، وتعوق عملية الحراك على المستوى القومى ، وتعمق الولاءات المحلية ، وتثير نوازع المطالبة بمزيد من الاستقلال الذاتى الأقليمى ، وفى النهاية فانها قد تؤدى الى زيادة الحركات الانفصالية ·

وبناء عليه فلا يمكن انكار قوة الولاءات اللغوية المحلية ، كما لا يمكن انكار أهمية الثقافات المحلية · ولقد اتضحت الولاءات الاقليمية من خلال الاصرار الجماهيرى على اقامة ولايات محلية يقوم تقسيمها بناء على المناطق اللغوية الأساسية ، الأمر الذى ترتب عليه اقامة ولاية اندهارا Andhra وتقسيم ولاية بومباى الى ولايتى جيجارات Gujarat ومهاراشترا Maharastra وأخيرا تقسيم البنجاب الى ولايتين احدهما تتحدث اللغة البنجابية والأخرى تتحدث اللغة الهندية (Hindi) أما أهمية الثقافات المحلية فقد اتضحت من خلال الحقيقة التى مفادها أنه بالرغم من أن أحدا لم يتحدث عن النهضة الهندية (أو احياء الثقافة الهندية) ، فان النهضة البنغالية (احياء ثقافة البنغال) قد لاقت اعترافا عالميا منذ أوائل هذا القرن ، هذا فضلا عن أن احياء الادب والموسيقى والرقص فى الوقت الحاضر يعد ظاهرة محلية أساسا · وبالرغم من ذلك فان نتائج دراسة سيليج هاريسون ـ وخاصة المماثلة التى أقامها بين

---

(١٤) S. S. Harrison, **India : The Most Dangerous Decades,** (Princeton, N. J., 1960). especially ch. 111 " The New Regional Elites ".

الموقف فى الهند والموقف فى اوربا الغربية عندما ظهرت الدول البلقانية بعد الحرب العالمية الأولى ـ هذه النتائج ليست معصومة من النقد · فاولا فالوحدة الثقافية فى الهند تعتبر أقدم جذورا من الوحدة الثقافية فى امبراطورية هابسبورج · واذا كان الاحساس بهذه الوحدة قد أصبح ـ فى الايام الأخيرة ـ أضعف عن ذى قبل ، فانه مايزال يمثل عنصرا لا يمكن اهماله · ومن الناحية الأخرى ، فانه من الخطأ المبالغة فى الحديث عن درجة الوحدة التى كانت قائمة فى الماضى ، واهمال العوامل الجديدة التى أسهمت فى تحقيق الوحدة ، والتى ظهرت فى السنوات الأخيرة · فالوحدة الثقافية فى الهند قبل فترة الحكم البريطانى لم تدعمها ـ لوقت طويل ـ سلطة سياسية وادارية تقوم على اساس علمانى فوق كل الاراضى الهندية · فلم تظهر حكومة مركزية وادارية مركزية فعالتين الا فى الوقت الحاضر · وأصبحت الحكومة اكثر قوة فى العقدين الماضيين وبعد أن اقيمت على اساس من الموافقة الشعبية ·

ثانيا : يجب أن نتذكر أن الهند تعتبر ـ وبقصد ـ دولة فيدرالية وليست دولة واحدة · وفى نسق سياسى من هذا النوع ، من الطبيعى أن يتم التأكيد على حقوق الولايات التى تشكل الدولة الفيدرالية ، ومن الواضح أن الولايات الهندية أكثر تشددا واكثر الحاحا فى صراعها مع الحكومة الفيدرالية من نظيراتها فى « الولايات المتحدة الامريكية » وكندا على سبيل المثال · ثالثا : من المضلل أن نذهب الى القول بأن الولاءات اللغوية المنتشرة فى الهند تعتبر شيئا استثنائيا ، أو انه يمكن مقارنتها بالولاءات اللغوية التى كانت منتشرة فى أوربا الشرقية منذ نصف قرن مضى · فقد ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية صراعات عنيفة فى بلجيكا بين الجماعتين اللغويتين الموجودتين هناك ؛ كما ظهر فى بريطانيا نمو ملحوظ للقومية الويلزية (نسبة الى اقليم ويلز فى بريطانيا) ؛ وتفجرت فى مقاطعة كوبيك Quebec فى كندا حركة قومية قوية على يد اقلية لغوية متمركزة فى هذه المقاطعة ، وشكلت بذلك جناحا انفصاليا نشيطا · وتعطينا حالة كندا مثالا يقف على طرف نقيض من الموقف فى الهند · فالاصول الثقافية للجماعات الفرنسية الكندية والانجليزية الكندية ، تعتبر اصولا اكثر تنوعا فى معظمها من الاصول

الثقافية للجماعات المحلية فى الهند ؛ فأحد هذه الجماعات ذات اصول لاتينية ، واخرى ذات اصول انجلو ـ ساسكونية ، وثالثة ذات اصول كاثوليكية ، ورابعة تدين بالبروتستينية • ومع هذا يجب أن نبرز الحقيقة التى مؤداها أن هناك جماعتين لغويتين ، ومن ثم فان بالامكان تطبيق سياسة للدمج اللغوى والثقافى بين الجماعتين ، بل أنها مدعاة للتفاؤل • أما فى الهند فان هناك أربع عشرة جماعة لغوية ، ويبدو أن الحل الوحيد للمشكلة اللغوية ينحصر فى اقامة لغة قومية بجانب اللغات المحلية • ولا يمكن التنبؤ الآن بما اذا كان ذلك أصعب أو أسهل من عملية الدمج اللغوى •

ليس هناك شك فى أن وجود مناطق ثقافية مميزة ، وهى المناطق التى تفصل أيضا ـ وبقدر معين ـ الكيانات السياسية ، يؤثر على تركيب وانشطة جماعات الصفوة • بيد أن المسألة التى تحتاج الى فحص دقيق هى الى أى مدى يترك وجود هذه المناطق الثقافية آثارا تفتيتية على المجتمع • فلنحاول ـ أولا ـ أن نلقى الضوء على تأثيراتها على الحياة الفكرية • من المحقق أن تأثير الثقافة الاقليمية على بعض المجالات الفكرية ـ فى الأدب والموسيقى مثلا وحتى فى كتابة التاريخ ـ قد يكون له أهمية كبرى • ومع ذلك يبقى هناك عنصر مشترك يوحد بين الثقافات المختلفة طالما أنها تستقى من منبع مشترك يتمثل فى مجموعة من الموضوعات الاساسية المشتقة من الهندوسية • واذا كانت الديانة الهندوسية نفسها سوف تتقلص بسرعة مع تفكك نظام الطوائف ـ كما يفترض الدارسون ـ فليس هناك من مبرر للافتراض بأن التراث الثقافى المتراكم المرتبط بالهندوسية سوف يختفى بشكل مباشر ، بنفس طريقة اختفاء الثقافة التى أذكتها المسيحية فى الأمم الغربية الحديثة التى تتميز بسيطرة العلمانية • وفضلا عن هذا فان هناك كثيرا من مجالات الحياة الثقافية لا تتأثر بشكل حاسم بالثقافة الاقليمية ، فالعلم الطبيعى ليس له طابع قومى أو أقليمى ، وحتى العلوم الاجتماعية فانها قابلة للتطور وفق خطوط تجعلها جزءا من هيكل معرفى عالمى ، بالرغم من المحاولات التى تبذل لربطها بالتراث الهندى •

ولا يبدو أن هناك على هذا المستوى أية عقبات أمام الحركة الحرة للمثقفين فى كل أرجاء الهند · وسوف يصبح هذا أمرا سهلا من خلال استخدام لغة قومية واحدة فى التعليم العالى ؛ كما أن انتشار اللغة الهندية (Hindi) فى المناطق التى لاتتكلم هذه اللغة ، بجانب الاستخدام المستمر للغة الانجليزية ، يؤدى بنا الى القول بأنه مهما تكن المصاعب أمام الحركة الحرة للمثقفين فانه يمكن تذليلها · فالثقافة الادبية والفن يعتمدان اعتمادا كبيرا على اللغة المحلية ؛ أما العلم والتكنولوجيا والادارة بصورتيها الاقتصادية والسياسية فلا تعتمد على هذه اللغة · واذا كان لنا أن نحدد مدى الانقسامات الاقليمية بين الصفوة المثقفة فانه من الأهمية بمكان أن نكشف عن درجة الحراك الجغرافى لجماعات مثل أساتذة الجماعات والعلماء والصحفيين وهل تتزايد درجة الحراك هذه أم تتناقص · أشار سرينيفاس Srinivas الى أن الحج الى الأماكن المقدسة (فى الهند) قد ساعد على توحيد المجتمع الهندى : « فالحجاج لا يعبأون بالحواجز اللغوية ، ولا بالفروق فى العادات والأعراف ؛ بل انه يبدو أن هؤلاء الحجاج يستمتعون بالتنوع الثقافى فى الهند »(١٥) ويمكن أن يتدعم هذا العنصر المحقق للوحدة فى الهند الحديثة من خلال حراك المثقفين ؛ فمن الجدير بالملاحظة أن اساتذة الجامعات ـ على سبيل المثال ـ اصبحوا يعادون التأكيد المفرط على الثقافة الاقليمية وخاصة فكرة الاستخدام الشامل للغة المحلية فى التعليم العالى ·

أما فى المجال السياسى ، فقد أوضحنا من قبل أن هناك جماعات صفوة اقليمية · غير أن هذه الجماعات تندمج اندماجا كبيرا فى النسق السياسى القومى · فالاحزاب السياسية الرئيسية هى أحزاب قومية ، وحتى فى حالة تركز قوتها فى بعض المناطق الاقليمية فى الوقت الحاضر ـ مثل تركز حزب سواتانترا Swatantra فى منطقة جيوجارت Gujart والحزب الشيوعى فى منطقة كيرالا Kerala فان هذه الأحزاب ماتزال

---

(١٥) Caste in Modern India and other Essays, op: cit:, PP. 105 - 6.

تتنافس على حيازة القوة فى كافة أرجاء الهند · وبنـاء عليه فان القادة السياسيين لا يستطيعون الفكاك من الارتبـاط بالسياسة على المسـتوى القومى ، بل أن معظم أعضـاء الصفوة المحلية يتوقون الى أن يصبحوا قادة على مستوى قومى · ويهتم رجـال السياسة على مسـتوى حكومة الولاية اهتماما بالغا بتطور الاقليم الذى ينتمون اليـه ، وهـم يدخلون باستمرار فى صـراع فى حكومة دلهى ، خاصة فيما يتعلق بالمواقع التى تنفذ فيها الخطة الخمسية · ويحـدث نفس الشىء فى الانظمة الفيدرالية الأخـرى حيث لا تنحرف الصفوة الاقليميـة فى انشطتها ومبادراتها عن التمثيـل العـادى للمصالح المحليـة الا فى النـذر اليسير · فالقـادة السياسـيون على مسـتوى الولايات الهنـدية لايصـرون على مطالبهم للمشاركة فى مشروعات التنمية اكثر مما تفعـل الحكومات المحليـة فى كندا ـ مثلا ـ اثنـاء مناقشة توزيع الميزانيـة الفيدرالية الخاصة بتشييد الطرق ، والطـاقة الكهربائيـة أو التعليم العـالى ، ومن الضـرورى أن نؤكد أيضـا أن المناطق المحلية المختلفة تمثـل تمثيلا عادلا فى الحكومة القوميـة وفى الاجهزة المختلفة لهـذه الحكومة ، كما يتم خلق قـدر من التوازن بين جنوب الهند وشمالها فى هـذا المضمار · غير أن لنـا أن نتساءل : هـل يظهر التمييز بين الشـمال والجنوب فى الهند بشكل اكثر حدة مما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية ، وهـل مسألة التمثيل السيـاسى اكثر حساسية ؟ الاجـابة على هـــذا السؤال واضحة على أى حـال ·

ويبـدو لنـــا أن الدلائل تشير فى الوقت الحاضـر الى أن تزايد الانقسام فى السياسة الهندية لا يحـدث بين دعاة التقليد ودعاة التحديث أو بين المناطق المحلية المختلفة ، وانما يحدث بين الجماعات الايديولوجية ذات الطابع الحديث · حقيقة أن التطـور الايديولوجى قـد تشوه وتعطل من خلال سيطرة حزب المؤتمر الذى يجمع تحت رايته عـددا متنوعا من الأراء السياسية والاجتماعيـة ؛ غير أنه ظهـر خـلال السنوات القليلة الماضيـة صـراع عنيف بين المذاهب الفـكرية ، ترتب على نمـو حزب سواتانترا من ناحيـة والحزب الشيوعى من ناحية أخرى · فعنـد قرب

الانتخابات الرابعة فى الهنـد لم تكن الموضوعات الأساسية التى سيطرت على الحـوار السياسى هى الموضوعات الخاصة بالتنميـة الاقليمية فى مقابل التنمية القومية ؛ وانمـا انحصرت هذه الموضوعات فى مشكلات النمـو الاقتصـادى ، وتوزيع الثروة والدخـل ، والتخطيط والمشروعات الحـرة • ومن المحتمل أن يؤدى تأثير نمـو الأحزاب المعارضة الى مزيد من الوحـدة بين الصـفوة فى حزب المؤتمر ، والى تطـور التنافس بين جماعات الصـفوة السياسية التى تتحـدد بشكل أدق من خـلال أهدافها الاجتماعية والسياسية •

لقـد علق أحـد المراقبين ذات مرة على مجلس النواب الفرنسى فى الثلاثينات بالقول بأن الاختـلاف بين نائبين احداهما شيوعى والآخر غير شيوعى أقـل بكثير من الاختلاف بين اثنين من الشيوعيين أحـدهما عضـو فى مجلس النواب والآخـر ليس عضوا • ويمـكن أن تذكر نفس الملاحظة فى سياق الحديث عن «اللوك سبها» Lok Sabha (مجلس الشعب الهنـدى(*) • فيما يتعلق بالاختلافات المرتبطة بالمنطقة المحلية أو الطائفة بين أعضـائه • ويصدق نفس الشىء بالتأكيـد على كبـار الموظفين فى الجهاز الادارى الهندى ، فالاصـول الاجتماعية لهؤلاء تختلف باختلاف المناطق المحلية (بالرغم من أن بعض هذه المناطق تمثل بأكبر مما تستحق) وباختلاف الطائفة (بالرغم من أن سـيادة الطوائف العليا ـ بسبب تزايد فرصهم فى التعليم الثانوى والجامعى ـ وبالرغم من وجود بعض الاماكن للطوائف الأخرى)(١٦) • ولـكن حدث أن تم الحـد من النتائج المفتتة

(*) يتكون البرلـمان الهندىّ من رئيس الجمهورية الذىّ ينتخب كل خمسّ سنواتّ ، ومجلس الولايات (ويطلق عليه راجيا سبها Rajya Sabha) وهو لا يزيد عن ٢٥٠ عضوا يمثلون الولايات ويتم اختيارهم بالانتخاب غير المباشر عن طريق الهيئة التشريعية الخاصة بكل ولايـة ، ومجلس الشعب (ويطلق عليـه لوك سبها Lok Sabha)ويتـكون من ٥٠٠ عضـو يتم اختيارهم بالانتخاب المباشر عن طريق الناخبينّ • ويعتبـر مجلس الولايات جمعية دائمة ، يستقيل ثلث أعضائها سنويا لينتخب غيرهم ، أما مجلس الشعب فانه يحل كل خمس سنوات ليعاد انتخابه • المترجم

(١٦) تعتبر المعلومات المتاحة عن الصفوة الادارية أكبرّ من أى معلوماتّ متاحة عن أىّ جماعة أخرى • ومن أهم المصادر حول هذا الموضوع :

=

لهذا الاختلاف من خلال وجود بعض العناصر المشتركة : وجـود عـدد كبير ممن تعلموا فى المدارس العامة ، والتدريب المكثف للمرشحين للقبول فى الاكاديمية القوميـة للادارة ، وروح الجماعة ethos التى تسيطر على صفـوة صغيرة لهـا تراث طويل · فأعضـاء جهاز الادارة الهندى يوزعون على الولايات ، ولـكن ذلك لا يؤدى الى تقسيم الخـدمات وفق خطوط اقليميـة ، وذلك لأن نصف العـدد فى كل ولاية يأتى من خـارج الولاية ، كما انه يتم انتـداب الموظفين للخدمة لفترات معينة فى الادارة المركزية · وبالرغم من أن جهاز الادارة الهندى له طابـع فيـدرالى الى حد ما ، الا أنه ـ مثله فى ذلك مثـل الاجهزة الكبرى للدولة فى فرنسا أو الطبقة الادارية الخاصة بالخـدمة المهنية فى بريطانيا ـ يشكل صفوة متميزة ومتماسكة وقوية(١٧) ·

ولم نذكر شيئا حتى الآن فى هـذا الفصل عن التأثير الحاسم الذى تمارسه الطائفة · وتعتبر المشكلات المرتبطة بأهميـة الطائفة والتغيرات التى تخضع لهـا فى الهنـد الحديثة ، مشكلات على درجـة عاليـة من الصعوبة والتعقيد ؛ ولانستطيع فى هذا السياق الا أن نقـدم ـ باختصار شـديد ـ بعض الانطباعات المتصلة بتأثير عضوية الطائفة على تشـكل واستقرار جماعات الصـفوة · من الضرورى أولا أن نفرق بين الطوائف التقليدية (المسماه جاتاى Jati) وهى جماعات محليـة ضيقة النطاق ، وبين الروابط الطائفية الحديثـة التى تسعى الى تعميق الولاءات الطائفية بحيث تجمع فى جماعة واحـدة « هـذه الطوائف (المسماه جاتاى) والتى تكون فئة واحدة بحكم اشتراكها فى اسم واحـد ، ومهنة تقليدية واحدة ، ومكانة مشتركة تقريبا فى نظمها الطائفية المتتالية »(١٨) وتمتد التجمعات

= R. K. Trivedi and D. N. Rao, " Regular Recruits to the I. A. S - A Study " **Journal of the National Accadmy of Adminstration,** Mussaurie, Vol. V., No. 3; a forthcoming study by V. Subramanian; and Morris - Jones; op. cit PP. 121 - 3.

(١٧) ويمكن تقديم ملاحظات شابهة فيما يتعلق بجهاز الخارجية الهندية ·

(١٨) **Bailey, op. cit, P. 130.** =

الطائفية فى المنطقة المحلية أو الولاية التى تشترك فى لغة واحدة ، وتمتد فى بعض الاحيان بحيث تغطى الهند برمتها · وتختلف درجة تنظيم هذه التجمعات ودرجة تأثيرها اختلافا ظاهرا فى الاجزاء المختلفة فى الهند ، منجمعية خدمات ناير Nair Service Society/القوية والمنظمة تنظيما دقيقا فى ولاية كيرالا Kerala الى رابطة Orissa Oilmen-Vaisys التى ماتزال ـ وفقا لما ذهب اليه بيلى ـ فى مرحلة التكوين وليس لها سوى تأثير سياسى طفيف ·

أما التأثير الذى يمكن أن يمارسه تجمع طائفى على نطاق قومى فقد اتضح من خلال التفسير الذى قدمه راو M. S. A. Rao لرابطة اليادافاس(١٩) Yadavas والتى تضم عدداً من الطوائف المتحالفة ـ ادهيرس Adhirs وجوبالس Gopals وجولاس Gollas وغيرها ـ والتى تشترك جميعا فى العمل بالمهن المرتبطة بتربية الابقار وبيع اللبن فى أرجاء الهند المختلفة ؛ وان كانت تدعى أيضا بين أعضائها عددا من أسباط سلالات كانت تحكم فيما مضى · أما رابطة يادافا ماها سابها العامة all-India Yadav، Maha Sabha والتى تشكلت فى عام ١٩٢٤ فقد كانت تنشط بصفة خاصة فى الضغط من أجل تشكيل لواء خاص بها فى الجيش الهندى ، وذهب راو Rao الى أن أعضاء مجلس الشعب الهندى من رابطة يادافا يعملون سويا فى الاشراف على الانشطة الطائفية للرابطة ·

وهناك رابطة قومية أخرى لها نشاط مؤثر هى رابطة مارواريس Marwaris (ورابطة مارواريس العامة all - India Marwari Federation) ولقد أشار سيليج هاريسون S. Harrison ـ فى وصفة للتكتلات الطائفية الجديدة(٢٠) ـ أشار الى المارواريس والى جماعة الاهاريس وغيرهما ·

=

ولقد وصف بلى بوضوح تام الفروق بين الطوائف والتجمعات الطائفية على الصفحات من ١٢٢ ـ ١٣٥ ·

(١٩) M. S. Rao, " Caste and the Indian Aramy " **Economic Weekly, Vol. XVI, No. 35, (29 August 1964). PP. 1439 - 43.**

(٢٠) **Harrison, op. cit, Ch. IV.**

ولاحظ بالنسبة لهاتين الجماعتين أنهما قد تحالفتا فى ولاية اوتربراديش Uttar Pradesh مع طائفة جاتس Jats وبعض الطوائف الأخرى لكى تشكل تكتلا مؤثرا ؛ غير أن بول براس Paul Brass قد انتقدا هذا الرأى عندما لاحظ أنه بالرغم من أن التأثير السياسى للطائفة فى منطقة ميريوت Meerut الواقعة فى ولاية اوتربراديش يعتبر تأثيرا قويا الا أن كل الوظائف تقوم فى تركيبها على التعدد الطائفى ؛ وأن تنوع الطوائف « ٠٠ يجعل من المستحيل أن تحصر جماعة سياسية معينة تتوق الى الوصول الى القوة عضويتها فى جماعات بعينها »(٢١)٠ ولقد أوضحت سلسلة من تسع دراسات عن الانتخابات العامة الثالثة نشرت فى مجلة Economic Weekly فى الفترة من يوليو الى سبتمبر ١٩٦٢ ،(٢٢) أوضحت أن تأثير الانتماء الطائفى على الانتخاب يختلف اختلافا بينا من مكان الى آخر ؛ وأنه ليس التأثير الوحيد على الاطلاق بل أنه يرتبط بالمصلحة الاقتصادية ، والالتزام الايديولوجى والتعلق بالقيادة الفردية وغير ذلك من العوامل ؛ وأن الانتماء الطائفى لايعد عادة عاملا حاسما ٠

وليس هناك من شك فى أن الولاءات الطائفية قوية فى الكثير من المناطق ، غير أنه من المحتمل أن تظهر بأقصى درجات تأثيرها فى القرى وتصبح أضعف فى التجمعات الطائفية الاكبر النشيطة فى ممارسة السياسة على مستوى الولاية وعلى المستوى القومى ٠ ولا يمكن تأكيد هذه النقطة الا من خلال دراسات مفصلة عن الروابط (التجمعات) الطائفية نفسها وعلاقتها بجماعات الصفوة السياسية فى الولايات أو فى الحكومة المركزية ـ وهى دراسات لم تجر بعد ٠ وبالرغم من أن بعض دارسى السياسة فى الهند يتنبأون بأن تلعب الروابط الطائفية دورا هاما ومتزايدا فى المستقبل القريب ، فانه لا يبدو أنها تلعب دورا

---

(٢١) P. Barss, **op. cit.**, P. 148.

(٢٢) نشرت فى نشرة بعنوان :
The Third General Elections : Studies in Voting Behaviour, Bombay Economic Society.

رئيسيا فى الوقت الحاضر فى انتخاب القادة السياسيين أو فى خلق مظاهر الانقسام السياسى · حقيقة أنها ربما تدعم الانقسامات المحلية الى حد معين ، غير أن هذه التجمعات لاتنظم كلها على أساس محلى ، بل أن بعضها ـ كما هو الحال فى رابطة مرواري على سبيل المثال ـ يعارض النزعة الاقليمية ·

وتشارك التجمعات الطائفية ـ طالما أن لها نشاطا سياسيا ـ فى ممارسة السياسة على مستوى الولاية وعلى المستوى القومى ، وربما تستطيع من خلال هذا الطريق أن تؤثر على تركيب الصفوة السياسية واسلوبها السياسى · أما الطوائف التقليدية (المسماه جاتاى) فانها تنشغل اساسا بممارسة السياسة على مستوى القرية ، ومن ثم فانها لا تهمنا فى هذا السياق · ومع ذلك فانه من الجدير بالذكر أنه حتى على مستوى السياسة فى القرية حيث يظهر تأثير التنظيم الاجتماعى التقليدى على اشده ، فليس من الواضح تماما عما اذا كانت الولاءات الطائفية تمارس تأثيرا حاسما فى كل الأحوال · فقد اشرف سومجى A. H. Somjee على تحرير سلسلة من الدراسات القروية فى ولاية جوجارات Gujarat أوضحت أنه بالرغم من وجود صراع اساسى فى بعض الاحيان بين طائفتى باتيدارس Patidars وبارياس Barias الا أن هذا الصراع يخفف من خلال التعارض الذى يظهر داخل كل صفوة على حدة بين جماعات القرابة أو بين الاجيال ، أو من خلال تكوين تحالفات بين الطوائف على أساس المصالح الاقتصادية(٢٣) ، كما استخلص اندرية بيتيل Andre Beteille من دراسة على قرية تانجور Tanjore أن القوة السياسية قد انفصلت الى حد ما عن الطائفة ، وأن توازن القوة يتميز بعدم الاستقرار ، وأن هناك « عوامل خلاف الطائفة تلعب دورا هاما فى المحافظة على القوة أو تغييرها يوما بعد يوم »(٢٤) ·

---

(٢٣) A. H. Somjee (ed). **Politics of Periurban Community in India**, (Bombay, 1964).

(٢٤) A. Beteille, **Cast, class and Power : Changing Pattern of stratification in Tanjore** Village (BerKeley 1965) P. 200.

واذا كانت أهمية الطائفة محل شك فى المجال السياسى فانها محل شك أكبر فيما يتعلق بجماعات الصفوة الأخرى ـ المديرون والقادة العسكريون والمثقفون ـ وذلك لأن هذه الجماعات تتشكل على أساس التميز الفردى والانجاز الفردى • فهى لاترتبط ـ كما يرتبط القادة السياسيون ـ بتمثيل الجماعات المحلية المختلفة والمصالح المختلفة فى المجتمع • ولهذا فأن الانقسامات الطائفية لا تلعب سوى دور طفيف فى هذه الجماعات • ولقد كانت الخلافات المتصلة بالانتماء المحلى واللغة من أظهر الخلافات بين كبار الموظفين غير أن هذه الخلافات قد تلاشت ـ كما أشرنا من قبل ـ من خلال تزايد معدل الحراك الجغرافى وتأثير المعايير التى خلقتها الجماعة المهنية نفسها • ويبدو أن الولاءات الطائفية ـ التى قد توجد بدرجات متفاوتة بين موظفى الادارة العليا أو صفوة المثقفين ـ قد تضاءلت أن لم تكن قد تلاشت من خلال التزام هذه الجماعات بأهداف عامة • ويساعد على هذه العملية حقيقة أن وظائف المديرين والمثقفين (على الأقل هؤلاء الذين يعملون فى الجامعات) تعد وظائف حديثة وذات طابع غربى ، الأمر الذى يجعلها لا تتفق مع تقليدية الطائفة • أما فى حالة الجيش فقد قيل أن الفروق الطائفية اكثر ظهورا ، وهى من رواسب الحكم البريطانى بمفهومة عن الاجناس ذات القدرات العسكرية • وحتى لو كان هذا القول صادقا على مستوى الوحدات العسكرية ، فانه من المشكوك فيه ما اذا كان لهذه الخلافات من تأثير على المستويات العليا فى التدرج العسكرى • فالقادة العسكريون يتلقون تدريبهم ـ مثلهم فى ذلك مثل كبار الموظفين ـ وفق اسس غربية ومن المحتمل أن تكون أوجه الشبه بين القادة العسكريين وكبار الموظفين أكثر من أوجه الشبه بين اعضاء هاتين الجماعتين وجماعاتهم الطائفية •

ومن الأمور التى تساعد على تماسك جماعات الصفوة ـ السياسية والمثقفة والادارية والعسكرية ـ اعتماد التوافد الى هذه الجماعات الى حد كبير على حيازه الملكية ، أو المؤهلات العلمية أو كليهما ويأتى

أعضاء هذه الجماعات ـ اساسا ـ من بيئات تنتمى الى الطبقة الوسطى ، كما أن لهم خبرات تعليمية مشتركة ، وهم يتعاملون مع بعضهم البعض كطبقة وسطى وكاعضاء ينتمون الى نفس المهنة · ومن الممكن أن تفوق هذه العناصر المشتركة أى خلافات تتعلق بالطائفة أو اللغة ؛ بل أن الأدلة تشير ـ خاصة بالنسبة لكبار الموظفين ـ الى أنها تتفوق بالفعل ·

وبامكاننا الآن أن نلخص العناصر التى تحقق الوحدة أو عدم الوحدة بين جماعات الصفوة فى الهند · تتأكد الوحدة من خلال انتماء أعضاء الصفوة الى الطبقة الوسطى ، ومن خلال خبراتهم التعليمية المشتركة ، وبرامج التدريب الخاصة التى يمرون بها ، والتراث المشترك المرتبط بالمهنة فى حالة المديرين والقادة العسكريين والمثقفين · أما بالنسبة للقادة السياسيين ، فان الخلفيات التعليمية ليست ذات أهمية وانما تتحقق الوحدة أولا وقبل كل شىء من خلال ايديولوجية حزب المؤتمر واسلوب تنظيمه والأفضلية التى يتمتع بها ، وكذلك الذكريات التى يحملها عن دوره فى حركة الاستقلال · أما عن العوامل التى تسبب الخلاف فهى تلك العوامل المتصلة بالاقليم واللغة وجماعة القرابة والعصبة والطائفة والايديولوجية · ولا تحتل هذه الاشياء ـ نسبيا ـ أهمية فى الوقت الحاضر بالنسبة للصفوة الادارية والصفوة العسكرية · أما بين جماعة المثقفين فان هناك بعض الانقسامات الناتجة عن الاختلاف فى الانتماء الاقليمى وعن الاختلاف بين دعاة التجديد ودعاة التقليد ، غير أن هذه الانقسامات ليست حادة على أى حال ·

أما القادة السياسيون فانهم ينقسمون وفق خطوط مختلفة ـ هى تلك المرتبطة بالطائفة والانتماء الاقليمى وجماعة القرابة والمذهب الاجتماعى (التقليدى فى مقابل الحديث والمحافظ فى مقابل الراديكالى) ـ غير أن حكم حزب المؤتمر للهند طيلة عقدين عصيبين لم يتعرض خلالهما سوى لنكسات جزئية يعد مؤشرا على أن قوى الوحدة ماتزال منتشرة

---

(٢٥) أنظر مقال روا Roa السابق الاشارة اليه ·

حتى الآن والحقيقة أن وجود خطوط عديدة للانقسام تتقاطع بعضها مع البعض الآخر هو الذى يفسر ـ جزئيا ـ وجود قدر من التماسك فى الصفوة السياسية · فقد يتحالف أحد أعضاء الصفوة فى مناسبة معينة مع طائفته ، ويتحالف فى مناسبة أخرى مع اعضاء جماعته المحلية ، وفى مناسبة ثالثة مع عصبته السياسية أو مع جماعة تتقارب فلسفتها الاجتماعية من فلسفته ؛ ويعمل هذا التنوع فى مظاهر التحالف والمجتمع السياسى على التقليل من امكانية حدوث شقاق أساسى لا رجعة فيه · ومايزال هناك عامل آخر ينمى الآن من مظاهر الوحدة بين الصفوة السياسية ، ونعنى به ظهور أحزاب معارضة قوية على مستوى الهند كلها · وقد أوضحت دراسات عديدة كيف أن حزب المؤتمر قادر على التغلب على الخلافات الحزبية عندما تتحداه أى جماعات سياسية معادية ، وعلى الحزب أن يقلل فى الانتخابات العامة الرابعة ـ وبشكل أكثر تكثيفا ـ من معارضة حزب سواتانترا والحزب الشيوعى ·

ومن المحتمل جدا أن تأخذ الصراعات داخل المجتمع الهندى فى العقد القادم طابعا ايديولوجيا ، وتصبح أكثر قربا من الصراعات الموجودة فى الامم الحديثة الأخرى · وسوف تزيد الانقسامات الطائفية والاقليمية من درجة تعقد هذه الصراعات ، غير أننا لا نعتقد أن تلعب هذه الانقسامات دورا حاسما · ومن المحتمل أن تكون أهم المسائل جميعا فى المستقبل هى تلك المتعلقة بأى من جماعات الصفوة ، أو أى توليفة منها ـ الأحزاب السياسية ، الموظفون ، القادة العسكريون ، المثقفون وأى جماعات تظهر ـ ستكون قادرة على تأسيس نفسها كطبقة حاكمة ؛ ويعتمد هذا أولا وقبل كل شىء على قدرة صفوة معينة على أن تؤكد التنمية الاقتصادية للهند وعلى أن تعبر بكفاءة عن تطلعات الجماهير العريضة من الشعب · ومايزال حزب المؤتمر يتمتع بتفوق واضح فى هذا الصدد ، ذلك لأنه دفع التقدم الاقتصادى ووجهه فى العقدين الماضيين ، وأخذ زمام المبادرة ـ من خلال مخطط بانشاياتى راج Panchayati Raj — فى نشر أصيل للحكم الديموقراطى الأمر الذى جعله اكثر احتكاكا بالجماهير ·